جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة
المجلة العلمية بالكلية
العدد السابع عشر

اختلاف المفسرين
أسبابه وضوابطه

بحث محكَّم بجامعة الأزهر

إعداد
أحمد محمد الشرقاوى
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر

بحث محكم ومنشور بالحولية
العدد السابع عشر
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق
المجلة العلمية بالكلية
العدد السابع عشر
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠٥/٦٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة حق نسأله تعالى أن يثبتنا عليها في الحياة وعند الممات ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه رحمة لجميع الكائنات ، وأرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي سائر الديانات ، وأنزل عليه آيات بينات ، وبراهين نيرات ، عصمة ونجاة ، ودستورا للحياة ، من سار علي دربه فاز بالجنات ومن أعرض عنه وسار وراء الأهواء والضلالات مُني بالحسرات وطُرح في الدركات .

وبعد فالقرآن الكريم هو الحجةُ البالغةُ والمعجزةُ الخالدةُ ، معينٌ لا ينضُب ، وعطاءٌ يتجدد ، ونهرٌ مُطَّرِدٌ ، وبحرٌ لا ساحلَ له ، لا عزة ولا كرامة إلا لمن استمسك به قال تعالى في سورة الزخرف ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وقال تعالى في سورة فصلت ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾﴾ : عزيز لأنه نزل من عند العزيز ، عزيز لأنه نهج طريق العزة ، عزيز فلا مثيل له ولا شبيه .

عزيز : بعيد عن أيدي العابثين التي امتدت إلى الكتب السابقة بالتحريف والتبديل ، بعيد عن أي تناقض أو اضطراب ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ ، وقال جل وعلا في سورة النساء ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

فلو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه ، لكن المتأمل في قصصه وأمثاله وحكمه وأحكامه وما فيه من الوعد والوعيد مع التكرار والتنوع في العرض والتفنن في الأساليب لا يجد فيه أدني اختلاف أو تفاوت .

ومصداق هذا أيضا قوله عز وجل في سورة الزمر ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ : فهو كتابٌ متشابهٌ مثانيٌ يشبه بعضه بعضا في كونه على أعلى رتبة في الفصاحة والبيان وروعة النظم وجمال الأساليب وسمو المقاصد ورفعة المعاني .

هذا وإن دراسة اختلاف المفسرين ومعرفة أسبابه وأنواعه وضوابطه من الأمور الضرورية التي لا غني عنها ؛ لمعرفة كيف نتعامل مع كتب التفسير ، سيما ما ورد فيها من أقوال متعددة متنوعة ، ومعرفة كيف نميز بين الاختلاف المحمود وبين الاختلاف المذموم ، وكيف نرد على أعداء ديننا الذين جعلوا من الاختلاف ذريعة للطعن في كتاب الله تعالى بل وجعلوا من الأقوال الشاذة والروايات الواهية ملمزا ومُدَّخلا لمطاعنهم وأباطيلهم .

ومن أدعياء الإسلام من بات يوجِّهُ الافتراءات إلي المفسرين جميعا دون تفريق بين المحققين منهم وحاطبي الليالي : الذين يجمعون وينقلون دون تمييز بين الغثِّ والسمين ، بين الصحيح والسقيم ، ولا بين مفسري أهل السنة والجماعة ومفسري الفرق الضالة الذين حمّلوا النصوص ما لا تحتمل ، يلوُون الكَلِمَ عن مواضعه بكل تعسُّفٍ وتكلُّفٍ وإعراض وعناد وإصرار واستكبار ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

ولقد وردتني بعض الأسئلة من بعض إخواننا الذين يعيشون في بلاد الغرب حول هذا الموضوع حيث تثارُ شبهات هناك من قبل أعداء الإسلام حول اختلاف المفسرين في فهم القرآن ، فكان من الضروري بيانُ حقيقةِ الاختلافِ وأسبابه ودواعيه من خلالِ هذا البحثِ الذي لقي قبولا بحمد الله تعالى في شتى الأقطار ، وانتشر على كثيرٍ من المواقع الإسلامية على شبكة " الانترنت " ويطبع الآن في سوريا ليقرر على بعض المعاهد الدينية ، أسألُ الله تعالى أن يرزقنا الإخلاص والقبول .

وفي هذا البحث : أتناول معنى الاختلاف والفرق بينه وبين الخلاف وأنواع الاختلاف وأسبابه مع ذكر أمثلة لكل نوع ، وبيان القواعد والضوابط التي نتعامل من خلالها مع أنواع الاختلاف .

ولقد بدأت هذا البحث ببيان مفهوم الاختلاف المذموم " اختلاف التضاد " وذكرت أسبابه وأوردت نماذج له ، وبينت ضوابط التعامل معه ، ثم عقبت ذلك ببيان أسباب الاختلاف المحمود اختلاف التنوع وذكر أمثلته وضوابطه .

والأسباب التي ذكرتها والأمثلة التي أوردتها ما هي إلا بيان وإيضاح وليس علي سبيل الحصر والاستقصاء وإنما أوردتها لنتعرف من خلالها علي طبيعة هذا الاختلاف وحدوده ومعالمه .

وبعد فهذا البحث المتواضع ما هو إلا خطوة على هذا الطريق الذي أقامنا الله عليه ، أسأل الله تعالى أن ينفع به وأن أنتفع من توجيهات أساتذتي وزملائي ، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

أحمد محمد الشرقاوي سالم
أستاذ مساعد بجامعة الأزهر وجامعة القصيم
القصيم عنيزة ١٤٢٥هـ
Sharkawe2000@yahoo.com

المبحث الأول

مفهوم الاختلاف

الاختلاف لغة : ضد الاتفاق .

والاختلاف والمخالفة : أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقًا غيرَ طريقِ الآخَرِ في حالهِ أو قولِهِ . [١]

وذكر بعض العلماء فروقا بين الاختلاف والخلاف ؛ منها أن الخلاف أعم من الضـــد لأن كل ضدين مختلفين ، وليس كل مختلفين ضدين [٢] .

والاختلاف يستند إلي دليل ، أما **الخلاف** فإنه لا يستند إلي دليل .

وفي الاختلاف يكون الطريق مختلفا والمقصود واحدا ، **أما الخلاف** فكلاهما مختلف . [٣]

وقال بعضهم : الاختلاف يستعمل في قولٍ بُنيَ علي دليلٍ ، والخلافُ فيما لا دليـــلَ عليـــهِ [٤] .

من هنا فإن الاختلاف قد يراد به اختلاف التنوع وقد يراد به اختلاف التضاد ، وكـــذلك الخلاف قد يرد لأحد المعنيين .

من ذلك قول الشاعر

وليس كل خلافٍ جاءَ معتبَرًا إلا خلافًا لهُ حظٌّ من النظرِ

---

(١) يراجع المصباح المنير للفيومي ١ / ١٧٩ و المفردات ، للراغب ص ١٥٦

(٢) المفردات ، للراغب ص ١٥٦

(٣) الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ت ١٠٩٤هـــ ص ٦١

(٤) القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين ، للدكتور محمود حامد عثمان ص ٢٧

المبحث الثاني

أنواع الاختلاف

الاختلاف في التفسير: نوعان : اختلاف تنوع وهو الاختلاف المحمود ، واختلاف تضاد وهو المذموم .

وفيما يلي بيان ذلك :

المطلب الأول : الاختلاف المذموم

وقد جاء تعريفه في الإتقان بأنه : ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر [(١)] ، فهو اختلاف التضاد ، لأنه فيما لا مجال فيه للاختلاف ، وذلك كاختلاف الفرق الضالة المنحرفة عن أهل السنة والجماعة ، حيث فسروا القرآن بما يتوافق مع أهوائهم ، مخالفين بذلك ما ورد في تفاسير أهل السنة والجماعة ، وهنا لا بد من الترجيح بين الآراء لبيان الحق .

- **من ذلك ما هو شائع في تفاسير الفرق الضالة كالمعتزلة والرافضة وغيرهم .**
- **ومنه أن يعتقد المفسر رأيا مخالفا لرأي أهل السنة والجماعة ، فيفسر القرآن الكريم وفقا لهذا الرأي ويصرف اللفظ عن مراده** : من ذلك تفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾القيامة: ٢٢ - ٢٣ حيث يري المعتزلة استحالة الرؤية في الآخرة ، وبناء علي رأيهم الباطل فإنهم يؤولون الآيات بتعسف وتكلف ، وينكرون الأحاديث الصحيحة الصريحة التي تخالف أهواءهم ؛ ففسر بعضهم (إِلَىٰ) بمعنى (نِعَم) جمع نعمة ، حتى يصرفون اللفظ عن معناه الظاهر الذي يفيد تنعم المؤمنين برؤية رب العالمين في الآخرة . [(٢)].

---

(١) الاتقان٢ في علوم القرآن للسيوطي/٣٨

(٢) ذكر هذا الرأي الشريف المرتضي وأنكره ، ونسبه إلى بعض المتأخرين من المعتزلة –الأمالي للشريف ١ / ٣٦

وأوَّل آخرون المعنى تأويلا غريبا فقالوا { إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} : أي مترقِّبة ومنتظـرة ، كمـا تقول أنا إلي فلانٍ ناظرٌ ما يصنع بي [١] .

- **أيضا من أسبابه اعتماد بعض المفسرين علي الموضوعات والإسرائيليات التـي تخالف العقل والنقل واعتبارها أصلا في التفسير مما يتنـاقض مـع الصـحيح الوارد في تفسير الآيات .** [٢] .
- **ومنه أيضا اعتماد بعضهم علي مجرد معرفته باللغة والمسارعة إلـي تفسـير القرآن بظاهر العربية دون الرجوع إلي أصول التفسير وأدواته مما يؤدي إلـي كثرة الغلط**

وذلك كمن فسر قوله تعـالى ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [الإسـراء ٥٩] بـأن المراد به أن الناقة كانت مبصرة والصحيح في تفسير الآية : " وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً " آية مبصرة أي حجة باهرة ومعجزة ظاهرة بدليل السياق قـال تعـالى ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾الإسراء: ٥٩ .

- **ومنها ترك بعضهم للمعنى الظاهر وتعويلهم علي معـانٍ لا أصـل لهـا وليس لها أدنى صلة بالآيات :**

كما فعل ابن عربي في تفسـيره لقولـه تعـالى ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ "واذكر اسم ربك الذي هو أنت أي اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله " [٣] وهـذا

---

(١) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي ص ٦٧٣ ، ٦٧٤ والكشاف للزمخشري ٤ / ١٩٢

(٢) أوردت في كتابي المرأة في القصص القرآني ط دار السلام بالقاهرة نماذج عديدة للموضـوعات والإسرائيليات وأثبت بطلانها سندا ومتنا ، بما يغني عن إعادتها هنا ، وفي كتابي مناهج المفسـرين ط مكتبة الرشد بالرياض ١٤٢٥ هـ مبحث عن الإسرائيليات والموضوعات في كتـب التفسـير تعريفهـا وأقسامه وطرق التعامل مع كل قسم .

(٣) تفسير ابن عربي ٢ /٣٥٢ نقلا عن التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ٢٨٣

القول بعيدٌ عن معنى الآية ومقصودها ، ولم يرد في لغة العرب استعمال كلمة الرب بمعنى النفس !

وتارة يكون له غرض صحيح ، فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به ، فيحمل النصَّ ما لا يحتمل ويتعسف ويتكلف في ذلك .

مثاله : من يرمز إلى القلب القاسي بفرعون ، فيقول قال الله تعالى ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤، والنازعات ١٧] ويشير إلي قلبه ويوميء إلى أنه المراد بفرعون ، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الحسنة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وإثارة له وهو ممنوع لمخالفته لظواهر النصوص ومقاصدها .

ومن ذلك أيضا : ما ورد في تفسير سهل التستري في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥] حيث نفى المعنى الأصيل الذي يدل عليه ظاهر النص وأثبت معنى آخر ليس في النص أي دلالة عليه فقال : " لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة ، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لغيره " . (١) .

- **ومن أسباب الخلاف أيضا : الخطأ في معرفة اشتقاق الكلمة** : وذلك كتفسير بعضهم لقوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾الإسراء: ٧١ قالوا ينادي علي كل إنسان باسم أمه . والصواب أنه الإمام وليس الأم .

قال الزمخشري في تفسيره : "بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أومقدم في الدين أو كتاب أو دين ... ومن بدع التفاسير : أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم مراعاة لحق عيسى عليه السلام وليت شعري أيهما أبدع ؟ أصحة لفظه أم بهاء حكمته ؟ " . (٢)

---

(١) تفسير سهل بن عبد الله التستري ص ١٦ نقلا عن التفسير والمفسرون للذهبي ١ / ٢٨٢

(٢) الكشاف للزمخشري ٢ /٦٨٢

• **أيضا من أسباب الخلاف : ترك المعنى الظاهر إلى معنى آخر لا علاقة له بالآية من قريب أو من بعيد ، وليس له أصل صحيح في لغة العرب** : من ذلك تفسير الضحك بالحيض في قوله تعالى ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [سورة هود] فقد ذهب بعض العلماء إلى أن معنى (فَضَحِكَتۡ) أي: (فحاضت) .

قال القرطبي: " قال مجاهد وعكرمة: حاضت وكانت آيسة ، تحقيقا للبشارة وأنشد علي ذلك اللغويون :

* وإني لآتي العُرْسَ عند طَهورها وأهجُرُها يومًا إذا تكُ ضاحكا

وضحكُ الأرانبِ فوقَ الصَّفا كَمثلِ دمِ الجوف اللقـــــــا

والعرب تقول ضحكت الأرنب إذا حاضت ، وقد أنكر أئمةُ اللغة أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت ، وقال الجمهور: الضحك المعروف ، وليس الضحك الحيض في اللغة بمستقيم وأنكر الفراء ذلك وقال لم أسمعه من ثقة ، وإنما هو كناية " [1] .

وقال الإمام أحمد بن المنير وهو يرد علي من زعم أن ضحكها بمعنى حيضها : "٠٠٠ ويبعد هذا التأويل أنها قالت بعد ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾هود: ٧٢ - ٧٣ فلو

---

(١) فى معانى القرآن للفراء : " وإنما ضحكت سرورا بالأمن فأتبعوها البشرى باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ، وقد يقول بعض المفسرين هذا مقدم ومؤخر ، والمعنى فيه فبشرناها بإسحاق فضحكت بعد البشارة وهو مما يحتمله الكلام ، والله أعلم بصوابه ، وأما قوله (فضحكت) بمعنى حاضت فلم نسمعه من ثقة " معانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ٢ / ٢١ ، ٢٢

وفى معانى القرآن وإعرابه للزجاج " فأما من قال (ضحكت) حاضت فليس بشئ وإنما ضحكت سرورا بمجيئ الأمر بإهلاك المكذبين " معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٦٢ ٠

كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت إذ لا عجب في حمل من تحيض والحيض في العادة علامة على إمكان الحمل " [1] .

والرأي المختار في تفسير (فَضَحِكَتْ) هو ما ذهب إليه جمهور المفسرين : أن الضحك هنا علي حقيقته ، وسببه الفرح والتعجب ، فرحت حين سمعت الملائكة الكرام يخبرون إبراهيم عليه السلام بأمر نجاة لوط عليه السلام ومن آمن معه وهلاك المكذبين به المعرضين عن دعوته وتعجبت من حال الهالكين ، كيف يتمادون في الضلال ويصرون علي الانحلال مع قرب هلاكهم ؛ فالأولي بهم أن يتوبوا إلي الله قبل فوات الأوان [2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٩/ ٦٦ ، ٦٧ بتصرف ٠و الانتصاف للإمام أحمد بن المنير الاسكندرى بهامش الكشاف ٢/ ٤١٠ ، ٤١١ بتصرف – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٥٢ بتصرف ، وتفسير الماوردى ٢/ ٢٥٥ والكشاف ٢/ ٤١١ وتفسير الطبرى تحقيق أحمد شاكر ١٥/ ٠ ٣٨٩

(٢) يراجع كتاب " المرأة في القصص القرآني " للمؤلف ١ / ١٦٦: ١٦٩

المطلب الثاني : الاختلاف المحمود

أما الاختلاف المحمود : فهو اختلاف التنوع أو التلازم وهو كما عرفه السيوطي في الإتقان : هو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة .... [1] ، وهذا النوع من الاختلاف مفيد في فهم المعنى وفيه إثراء له .

وله أسباب عديدة : نذكرها ونورد أمثلة عليها ونبين الضوابط والقواعد التي نتعامل بها .

فنقول وبالله التوفيق :

- **أسبابه :**

١. اختلاف التعبير

كأن يعبر كلٌّ مفسِّرٍ عن المعنى الواحد بعبارات شتى تدور كلها حول هذا المعنى ، أو تكتمل بها صورته ويستقر المعنى في الأذهان ، أو أن يفسر بعضهم اللفظ بمعان متنوعة لكنها تدور في محور واحد:وبعض المفسرين قد يفسر المعنى بمثال عليه أو بلازمه .

- مثال ذلك تفسيرهم لقوله تعالى في سورة الأنعام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾الأنعام: ٧٠فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ} قال: تفضح. وفي قوله {أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟} قال: فضحوا.وعنه في قوله {أَن تُبْسَلَ} قال: تسلم. وفي قوله {أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟} قال: أسلموا بجرائرهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣١/٢

وسأله نافع بن الأزرق : فقال له: أخبرني عن قوله عز وجل (أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ) ؟ قال: يعني أن تحبس نفسه بما كسبت في النار. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت زهيرا وهو يقول:

وفارقتُك برهان لا فكاك له يوم الوداع وقلبي مبسلٌ عَلِقَا .

وعن قتادة في قوله {أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ} قال: تؤخذ فتحبس [1].

فكل هذه المعاني الرهن والحبس والفضيحة متلازمة لا تناقض بينها .

- ومن الأمثلة أيضا :اختلافهم في معنى قوله تعالى في سورة الروم ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الروم: ١٥فعن الضحاك رضي الله عنه قال {في روضة يحبرون}: في جنة يكرمون.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال {يُحْبَرُونَ } : يكرمون .

وعن مجاهد رضي الله عنه قال: ينعمون.

وعن يحيي بن أبي كثير قال: {فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} أي لذة السماع في الجنة.

وعن الأوزاعي قال {فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ } هو السماع [2] .

وكل هذه المعاني بيان لما هم فيه من السعادة والحبور والتنعم فكلها تدور حول معنى واحد وكلها متنوعة لا تناقض بينها حيث يسهل الجمع بينها ، فأهل الجنة نسأل الله أن يجعلنا منهم يتنعَّمون بشتى ألوان المُتَعِ والملذَّات .

- ومثال ذلك أيضا : ما نقله السيوطي في الدر المنثور " عن مجاهد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾الحج: ٣٤ قال: المطمئنين ، وعن عمرو بن أوس {وَبَشِّرِ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٣/ ٢١

(٢) نفس المرجع ٥ / ١٥٣

ٱلْمُخْبِتِينَ} قال: المخبتون، الذين لا يظلمون الناس، واذا ظلموا لم ينتصروا. وعن الضحاك رضي الله عنه {وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ} قال: المتواضعين.وعن السدي رضي الله عنه {وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ} قال: الوجلين. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه كان إذا رأي الرّبِيعَ بنَ خُثَيْمٍ قال: {وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ} وقال له: ما رأيتك إلا ذكرت المخبتين. [1] .

وكل هذه الصفات والأحوال مجتمعة في المخبتين

- ومثال ذلك أيضا : تفسيرهم **للصراط المستقيم** فقال بعضهم: " وفي المراد بالصراط هاهنا أربعة أقوال **أحدها** : أنه كتاب الله روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا .

والثاني : أنه دين الإسلام قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن و أبو العالية .

والثالث :أنه الطريق الهادي إلي دين الله رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مجاهد .

والرابع : أنه طريق الجنة نقل عن ابن عباس أيضا ." [2] .

ولا تعارض بين هذه المعاني فكلها تدور في فلك واحد ؛ فالصراط المستقيم هو طريق الإسلام والكتاب هو المنهاج له وهو طريق الهدى والفوز بالجنة .

- ومثال ذلك أيضا تفسيرهم لقوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الأنفال: ٢٤

- قال ابن كثير :" وقال مجاهد في قوله (لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال : الحق ، وقال قتادة :(لِمَا يُحْيِيكُمْ) قال هو هذا القرآن فيه النجاة والنقاة والحياة وقال السدي : " في الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر " ، وعن عروة بن الزبير (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/ ٣٦٠

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٥/١ وفتح القدير للشوكاني ٢٨/١

ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ) : أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم . (١)

- وكل هذه المعاني محتملة فالإسلام حياة القلوب وفي القرآن حياة للنفوس ، وبالجهاد تحيا البشرية آمنة مطمئنة ، وبه حماية ودفاع وحقن لأرواح الأبرياء وصد للمعتدين ، فلا سبيل إلي حياة عزيزة أبية إلا بالإسلام والقرآن والجهاد والعلم .

١. أن يفسر بعضهم المعنى ببيان بعض ما يندرج تحته من أنواع ، أو يفسره بذكر مثال له

- من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى في سورة النساء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ النساء: ٣٤ عن قتادة :{فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ} أي مطيعات لله ولأزواجهن {حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ} قال: حافظات لما استودعهن الله من حقه، وحافظات لغيب أزواجهن. وعن مجاهد {حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ} للأزواج ، وعن السدي {حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ} يقول تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع كما أمرها الله ، وعن السدي قال: حافظات لأزواجهن في أنفسهن بما استحفظهن الله ، وعن مقاتل قال: حافظات لفروجهن لغيب أزواجهن، حافظات بحفظ الله لا يخنّ أزواجهن بالغيب ، وعن عطاء قال: حافظات للأزواج بما

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ٢/ ٢٧٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٣ ٣٣٨ ومفاتيح الغيب " التفسير الكبير " للرازي ٥ /١٣٢

حفظ الله يقول: حفظهن الله، وعن مجاهد {حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ} قال: يحفظن علي أزواجهن ما غابوا عنهن من شأنهن [١].

ولا شك أن الحفظ هنا ليس قاصرا علي حفظ المال وحده أو حفظ الفرج ، ولكنه يشمل حفظ الأزواج في غيابهم ، وحفظهم من باب أولى في حضورهم ، وحفظ الأسرار الزوجية ، وحفظ الأولاد بحسن التربية وغير ذلك .

- ومن ذلك أيضا اختلافهم في معنى الحرج في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ الحج: ٧٨: قال الشوكاني : " وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقيل هو ما أحله الله من النساء مثنى وثلاث ورباع وملك اليمين ، وقيل المراد قصر الصلاة والإفطار للمسافر والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره وإسقاط الجهاد عن الأعرج والأعمى والمريض واغتفار الخطأ في تقديم الصيام وتأخيره لاختلاف الأهلة وكذا في الفطر والأضحى ، وقيل المعنى أنه سبحانه ما جعل عليهم حرجا بتكليف ما يشق عليهم ولكن كلفهم بما يقدرون عليه ورفع عنهم التكاليف التي فيها حرج فلم يتعبدهم بها كما تعبد بها بني إسرائيل وقيل المراد بذلك أنه جعل لهم من الذنب مخرجا بفتح باب التوبة وقبول الاستغفار والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والأرش أو القصاص في الجنايات ورد المال أو مثله أو قيمته في الغصب ونحوه ، والظاهر أن الآية أعم من هذا كله فقد حط سبحانه ما فيه مشقة من التكاليف علي عباده إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مشقة فيه أو بمشروعية التخلص عن الذنب بالوجه الذي شرعه الله وما أنفع هذه الآية وأجل موقعها وأعظم فائدتها " [٢].

قاعدة مهمة : إذا دارت الأقوال حول معنى واحد فإنه يجمع بينها ، وفي ذلك يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "الأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٢ / ١٥١،١٥٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٢ / ٧٤

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/ ٥٨٦

إخلال بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه ...فإنَّ نقل الخلاف فـــي مســـألة لا خلاف فيها في الحقيقة خطأ كما أن نقل الوفاق في موضع الخلاف لا يصح " [1].

(١) الموافقات للشاطبي ١٢١/٤ بتصرف

١. الاختلاف في عودة الضمير

- **وذلك أيضا من أسباب اختلاف المفسرين**

ومثاله : ما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سورة يوسف

روى الطبري في تفسيره عن السدي وعن ابن أبي نجيح: وابن إسحاق وعن مجاهد: { قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ} قال: سيدي. يعني: زوج المرأة [١]

وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط " والضمير في (إِنَّهُ رَبِّي) الأصح أن يعود إلي الله تعالى ، أي إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب وأقامني في أحسن مقام٠٠٠ " [٢].

والذي أرجحه هو : أن الضمير عائد إلى لفظ الجلالة ، كما ذكر ذلك أبو حيان وغيره وذلك لأن مراعاة يوسف عليه السلام لحقوق الله تعالى وصونه لنعمه : يتضمن مراعاة حقوق العباد ، وقوله تعالى { إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ } : الذين يسلبون حقوق الآخرين ، ويفرطون في العهود ، ويخونون الأمانات وينتهكون الحرمات ومراعاة حق الله عز وجل مقدم على مراعاة حق العباد ٠

ومن ذلك أيضا اختلافهم في عودة الضمير في قوله تعالى﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾فاطر: ١٠

فقيل يرجع إلي المولى عز وجل فهو الذي يرفع العمل الصالح ، وقيل يرجع إلى العمل الصالح والمعنى : والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب ، وقيل يرجع إلى الكلم الطيب فهو الذي يرفع العمل الصالح .

وأقول كلاهما ينهض بصاحبه ، والله عز وجل هو الذي يرفع ويقبل .

---

(١) جامع البيان للطبري ١٢/ ١٠٨

(٢) البحر المحيط لأبى حيان ٥/ ٢٩٤

قال الإمام الشوكاني : " ومعنى ﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب كما قال الحسن وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبو العالية والضحاك ووجهه أنه لا يقبل الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح وقيل إن فاعل يرفعه هو الكلم الطيب ومفعوله العمل الصالح ، ووجهه أن العمل الصالح لا يقبل إلا مع التوحيد والإيمان ، وقيل إن فاعل يرفعه ضمير يعود إلى الله عز وجل ، والمعنى أن الله يرفع العمل الصالح علي الكلم الطيب لأن العمل يحقق الكلام وقيل والعمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي أراد العزة وقال قتادة المعنى أن الله يرفع العمل الصالح لصاحبه أي يقبله فيكون قوله " والعمل الصالح ^ علي هذا مبتدأ خبره يرفعه وكذا علي قول من قال يرفع صاحبه " [1].

وهذه المعاني كلها تدور حول محور واحد فالعمل الصالح ينهض بالكلم الطيب وهو ثمرة له وبرهان عليه والكلم الطيب يرفع العمل الصالح فهو أساسه وقوامه ، والله تعالى هو الذي يرفع ويتقبل الطيب من القول والصالح من العمل .

١. أن يكون اللفظ مشتركا في اللغة

من أسباب الاختلاف أيضا : أن يكون اللفظ مشتركا في اللغة له أكثر من استعمال علي الحقيقة فيحمل علي أحد الاستعمالات :

- مثل لفظة القرء يراد بها الحيض كما يراد بها الطهر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة: ٢٢٨ قال الشوكاني : " قال أبو عمرو بن العلاء : من العرب من يسمي الحيض قرءا ومنهم من يسمي الطهر قرءا ومنهم من يجمعهما جميعا فيسمي الحيض مع الطهر قرءا ، وينبغي أن يعلم أن القرء في الأصل الوقت يقال : هبت الرياح لقرئها ولقارئها أي لوقتها ومنه قول الشاعر

كرهت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح

(١) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٢٢

فيقال للحيض قرء وللطهر قرء لأن كل واحد منهما له وقت معلوم وقد أطلقته العرب تارة على الأطهار وتارة على الحيض ... والحاصل أن القروء في لغة العرب مشترك بين الحيض والطهر ولأجل هذا الاشتراك اختلف أهل العلم في تعيين ما هو المراد بالقروء المذكورة في الآية فقال أهل الكوفة هي الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسي ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي وأحمد بن حنبل وقال أهل الحجاز هي الأطهار وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري وأبان بن عثمان والشافعي رضي الله عنهم ..." (١) .

- ومن ذلك أيضا اختلافهم في معنى كلمة " قسورة " الواردة في تفسير قوله تعالى في سورة المدثر ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ .

قيل المراد بها الرامي ، وقيل المراد بها الأسد : فعن أبي موسي الأشعري في قوله: {فرت من قسورة} قال: هم الرماة رجال القنص ، وورد عن ابن عباس نحوه ، وعن عكرمة {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾} قال: وحشية فرت من رماتها. وعن قتادة قال: القسورة النبل ، وعن ابن عباس في قوله: {من قسورة} قال: هو بلسان العرب الأسد وبلسان الحبشة قسورة ، وعن أبي هريرة في قوله: {فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ} قال: الأسد. (٢) .

ومن ذلك أيضا تفسير بعضهم للكتاب بأنه القرآن الكريم مع أن السياق في اللوح المحفوظ ، فلفظة الكتاب في القرءن لها أكثر من عشر دلالاتٍ بحسب ورودها في السياق : ولكن الأرجح في قوله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨] أن المراد بها اللوح المحفوظ بدليل السياق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام : ٣٨] .

---

(١) نفس المرجع باختصار ١/ ٢٩٨

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٦ / ٢٨٦

و بدليل قوله تعالى في نفس السورة ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٩] .

قواعد مهمة

- قال الزركشي : " وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي ، فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم دليل علي أن المراد هو الخفي ، وإن استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية فالحمل علي الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية كما في قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾التوبة: ١٠٣ } [(١)] ، ولو كان في أحدهما عرفية والآخر لغوية فالحمل على العرفية أولى لأن الشرع ألزم ، فإن تنافى اجتماعهما ولم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى في حقه وإن لم يظهر له شيء فهل يتخير في الحمل علي أيهما شاء أو يأخذ بالأشد حكما أو بالأخف ؟ أقوال ، وإن لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة إلا إن دل دليل علي إرادة أحدهما ." . [(٢)]

---

(١) فالصلاة هنا تحمل على معناها اللغوي وهو : الدعاء

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ /١٦٦ ، ١٦٧

١. اختلاف القراءات

فاختلاف القراءات المتواترة فيه ثراء للمعنى وإيضاح له وتقرير .

- ومثال ذلك: ما ورد من قراءات في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[سورة يوسف : ٢٣]حيث لجأت امرأة العزيز إلي التصريح بعد أن استفرغت جميع أساليب التلميح ووسائل الإغراء فقالت بعبارة سافرة **(هَيْتَ لَكَ)**

و**(هَيْتَ)** اسم فعل أمر بمعنى هلم وأقبل وفي قراءة (**هِئْتُ لَكَ**) أي حسنت هيأتي من أجلك .

* قرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر ، وأبو جعفر بكسر الهاء وفتح التاء ، (**هِيتَ**) وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء (**هَيْتُ**) وقرأ الباقون بفتح الهاء وسكون التاء (**هَيتْ**) ، وقرأ هشام – كما روي عنه إبراهيم بن عباد – (**هِئتُ لك**) بكسر الهاء وضم التاء أي تهيأت لك ، ومدار القراءات حول معنى واحد وهو : هلم وأقبل فلقد تهيأت لك [(١)].

- ومثال ذلك أيضا اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾آل عمران: ٣٦ ؛ ومرجع اختلافهم إلي اختلاف أوجه القراءات المتواترة في – التاء – من (وضعت)

فقراءة ابن عامر، وأبي بكر الكوفي ، وعاصم بن أبي النجود ، ويعقوب بضم التاء (وضعتُ) ، وقراءة ابن كثير ، ونافع ، وأبي عمرو ، والكسائي وحمزة وعاصم في رواية حفص بسكون التاء (وضعتْ) [(٢)] .

وعلي الأول : فالتاء تاء الفاعل ، وهي تاء المتكلمة أي بما وضعتُ ٠

وعلي الثاني : فالتاء تاء التأنيث أي بما وضعتْ هي ٠

---

(١) يراجع : إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٤٣ ، ١٤٤ والنشر فى القراءات العشر ٢/ ٢٩٣ ٠

(٢) يراجع النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ٢/ ٢٣١ ط وحجة القراءات لابن زنجلة ص ١٦٠

والقراءتان متواترتان .

أما عن توجيههما ، فعلى النحو التالي :

أولا : القراءة الأولى (وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعۡتُ) : من تمام كلام امرأة عمران قالته اعتذارا إلى ربها ؛ لعجزها عن الوفاء بنذرها ، أو قالته تسلية لنفسها ، لبيان أن لله في ذلك حكمة يعلمها ، فالله ﷻ يدبر أحوال الخلق وفق قدرته وإرادته وعلمه وحكمته ، ولعل هذه الأنثى عند الله خير من الذكر ؛ لأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه ، كما قال ﷻ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾البقرة: ٢١٦

ويمكن توجيه القراءة علي : أنها فوضت العلم إلى الله فقالت (وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعۡتُ) ٠

لأن قولها (إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ) للاعتذار ، لا للإعلام ، فالله سبحانه لا تخفى عليه خافية ٠

ولقد توجه الإشكال إلي هذه القراءة بأنها لو كانت حكاية لكلام أم مريم وتمام خطابها لكان الأولى أن تقول (رب إني وضعتها أنثى ، وأنت أعلم بما وضعتُ) ؟ ويمكن الإجابة علي هذا الإشكال بأن جملة (والله أعلم بما وضعتُ) التفات من الخطاب إلي الغيبة والالتفات صورة رائعة من صور البلاغة ٠

ثانيا : وعلي القراءة الثانية (وضعتْ): فهي جملة اعتراضية ، وقد سيقت تعظيما لشأن المولودة ، و بيانا لعلو منزلتها ، وسمو قدرها ، اصطفاها الله وطهرها ، وجعلها وابنها آية للعالمين ٠

والجملة من كلام الله ﷻ ، وليست من تمام كلام امرأة عمران ٠

والقراءتان متواترتان ولا تناقض بينهما ؛ فكل قراءة لها توجيه مفيد في فهم المعنى ، وتعدد القراءات في الكلمة الواحدة مع اتفاق المعاني وانسجامها ، وتكاملها ، وجه من وجوه الإعجاز القرآني ولون من ألوان بلاغته ٠

- **هذا والمتأمل في اختلاف القراءات يجدها على النحو التالي :**

الأول : أن تختلف القراءتان في اللفظ وتتفقا في المعنى مثل (الصراط والسراط)و (يحسَب) بفتح السين وكسرها، و(مِرفَقا)بفتح الميم وكسر الفاء والعكس ، فالمعنى واحد .

والحكمة في هذا النوع من الاختلافات تيسير القراءة على ذوي اللهجات المختلفة .

الثاني : أن تضيف القراءة معنى جديدا لا يتعارض مع المعنى الأول ولا يناقضه فكلا المعنيين صحيح ، وذلك كما في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴾ البقرة: ٢٥٩ قرئ (ننشزها ، و (ننشرها) لأن المراد في القراءتين العظام فقوله تعالى (ننشرها) بمعنى نحييها ، وقوله تعالى(ننشزها) أي نضم بعضها إلى بعض حتى تلتئم ، " ولا تناقض بين المعنيين لأن الله تعالى إذا أراد بعث الخلائق ضم عظامهم بعضها إلى بعض ثم يحييها للجزاء " [(١)] .

الثالث : اختلافهما في اللفظ والمعنى مع امتناع جواز اجتماعهما في شئ واحد ، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.

ومثاله قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠ ﴾يوسف: ١١٠قرئ بالتشديد والتخفيف في " كُذِّبوا "، و" كَذَبوا" فالتشديد :يعني: وتيقن الرسل أن قومهم قد كذّبوهم ، و التخفيف يعني : وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذَبوهم – أي كذبوا عليهم – فيما أخبروهم به ، فلا تعارض بين المعنيين . [(٢)]

ومن هنا فلا يمكن أن يكون هناك تعارض بين قراءتين متواترتين لأن كلاهما وحي من الله تعالى وكلام الله عز وجل منزه عن التناقض والاضطراب .

١. الاختلاف في القول بالنسخ

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٥،ويراجع القراءات أحكامها ومصادرها للشيخ الدكتور شعبان محمد إسماعيل ص ١٣١ .

(٢) يراجع لطائف الإشارات للقسطلاني ١ / ٣٧ ، ٣٨

فقد يقول بعض المفسرين بالنسخ لمجرد التعارض ، ولو أمعنوا النظر وأعملوا الفكر لما وجدوا تعارضا بين النصوص يدعو إلى القول بالنسخ ، فإعمال النص خير من إهماله .

ولقد توسع المتقدمون في النسخ حتى أدخلوا فيه ما ليس منه فاعتبروا التخصيص والبيان والتقييد من قبيل النسخ .

قال ابن القيم رحمه الله :"ومن تأمل في كلامهم – يعني المتقدمين– رأى من ذلك فيه ما لا يحصى وذهب عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر " (١)

- **مثال ذلك** اختلافهم في قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ البقرة: ٢١٩ البقرة : فعن السدي في قوله {قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ} قال: هذا نسخته الزكاة ، وعن طاوس قال: العفو اليسير من كل شيء ، وكان مجاهد يقول {العفو} الصدقة المفروضة ، " وقال الكلبي: كان الرجل بعد نزول هذه الآية إذا كان له مال من ذهب أو فضة أو زرع أو ضرع نظر إلى ما يكفيه وعياله لنفقة سنة أمسكه وتصدق بسائره، وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه وعياله يوما وتصدق بالباقي، حتى نزلت آية الزكاة المفروضة فنسخت هذه الآية وكل صدقة أمروا بها ، وقال قوم: هي محكمة ، وفي المال حقٌّ سوى الزكاة " (٢) .

والراجح أنها محكمة فلا تعارض بينها وبين ما ورد في شأن الزكاة المفروضة ، لأن العفو هنا هو اليسير الزائد عن الحاجة ، ولا شك أن الزكاة لا تفرض إلا على الأغنياء ونصابها يسير وهو زائد عن حاجة الغني فلا تعارض في ذلك بين هذه الآية والآيات الأخرى .

---

(١) اعلام الموقعين ١ /٣٥

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢/٣

- ومن ذلك أيضا زعم بعض السلف أن أيات الإذن في القتال نسخت جميع آيات الصبر والعفو والإعراض والصفح ، والصواب أن العفو والصبر والإعراض والصفح من الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن وهي قائمة محكمة لها مواطنها التي تحمد فيها كما أن للقوة مواطنها . (١)
- قال ولي الله الدهلوي في كتابه الفوز الكبير في أصول التفسير " بلغ عدد الآيات المنسوخة بآيات السيف قرابة الخمسمائة ، ولو تأملت لوجدتها غير محصورة ، والمنسوخ باصطلاح المتأخرين عدد قليل " (٢)

١. الاختلاف في حمل اللفظ علي الحقيقة أو المجاز

- من ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ ﴾ [المسد: ٤] قيل كانت تحمل الأشواك وتنثرها أمام بيت رسول الله ﷺ إيذاء له فكان جزاؤها في الآخرة من جنس عملها في الدنيا ، حيث تحمل الحطب علي ظهرها في نار جهنم لتزداد النار حرارة والتهابا وسعيرا عليها وعلى زوجها التي كانت تنفث فيه روح الحقد وتذكي نار غضبه وتضرم لهيب حسده لرسول الله ﷺ فيزداد حنقا عليه وايذاء له ٠

– وقيل كانت تمشي بين الناس بالنميمة فتنمي العداوة بينهم كما تزداد النار اشتعالا وحرارة حين يلقى الحطب فيها ٠

قال القرطبي : " قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : **(حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ)** كانت تمشي بالنميمة بين الناس ، تقول العرب فلان يحطب على فلان إذا ورّش به – أي حرّش به ، وأغرى به قال الشاعر :

---

(١) توسع الأقدمون في مفهوم النسخ فأدخلوا فيه ما ليس منه ، يراجع على سبيل المثال ما ذكره أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه باب الجهاد ناسخه ومنسوخه ص ٢٦٧ ، كما يراجع أيضا الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ص ١٩٠

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي ٥٣ ، ٥٤

إن بني الأدرم حمالوا الحطب ٠٠٠ هم الوشاة في الرضا والغضب * عليهم اللعنة تترى والحَرَب [١] .

وقال أكثم بن صيفي لبنيه : " يا بَني إياكم والنميمة فإنها محرقة للقلب ، وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر " ٠

" ولذلك قيل : نار الحقد لا تخبو " وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يدخُلُ الجنَّةَ نمَّامٌ) [٢] .

وقيل (حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ) : كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر ثم إنها كانت تحتطب بنفسها وتحمل الحطب علي ظهرها لشدة بخلها وحرصها فعيرت بالبخل ٠ روي هذا القول عن قتادة " [٣] .

وقيل (حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ) : أي حمالة الخطايا والذنوب ، وإذا كان الحطب يشعل النار فإن الخطايا والآثام تلقي بصاحبها في النار ، قال تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنعام: ٣١

من هنا كان من أسباب اختلاف المفسرين اختلافهم في حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز ، وفي هذا التنوع ثراءٌ للمعنى واسيعابٌ له ، وتلك هي روعةُ القرآن وبلاغتُه ، ومن هنا كانت أهمية دراسة علوم البلاغة لمن يتصدر لتفسير كلام الله تعالى الذي نزل بلغة العرب وفق أساليبهم وفنونهم في الكلام .

---

(١) الحرب : نهب مال الإنسان وتركه لا شئ له ٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٠ / ٢٣٩ بتصرف ، والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان ك/ الأدب باب ما يكره من النميمة حديث ٦٠٥٦ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠ / ٤٨٧ وأخرجه مسلم فى صحيحه عنه ك/ الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة حديث ١٦٨ ٠ واللفظ لمسلم صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١١٢ ٠

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٠ / ٢٤٠ بتصرف ٠

عن أبي الدرداء ﷺ موقوفاً : لا يفقهُ الرجلُ كلَّ الفقهِ حتى يَرَى للقرآنِ وُجُوهــاً كثيــرةً [١].

وعبارةُ تُرْجُمَانِ القرآنِ عبدِ الله بنِ عباسٍ رضي الله عنهما الشهيرةُ التي قالهــا للإمــامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ " ... القرآن حمالٌ ، ذو وُجُوهٍ " روى الخطيب البغدادي في كتابــه الفقيه والمتفقه بسنده عن الأوزاعيِّ قال : خاصم نفر من أهل الأهواء عليَّ بن أبي طالب ، فقال له ابن عباس : « يا أبا الحسن : إن القرآن ذلولٌ حمولٌ ذو وجوهٍ ، تقولُ ويقولون ؛ خاصمْهم بالسنَّة ، فإنهم لا يستطيعون أن يكذبوا على السنة ». [٢]

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٨٧/٧ ، ومصنف عبد الرزاق ١١ / ٢٥٥ حــديث ٢٠٤٧٣ ، والطبقــات الكبرى لابن سعد ٣٥٧/٢ .

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي برقم ٦٠١ .

١. تفاوتهم في معرفة السنة النبوية

من ذلك أنه قد لا يبلغ الحديث أحد الصحابة ولم يكن قد سمعه من رسول الله ﷺ فيجتهد في المسألة فيدلي برأي مخالف لما قال به النبي ﷺ لكنه يتراجع عن رأيه حين يصله الحديث :

- من ذلك : اختلاف بعض الصحابة في عدة المتوفى عنها زوجها إذا وضعت الحمل هل تنقضي عدتها بوضع الحمل فينطبق عليها قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾الطلاق: ٤ [الطلاق: ٤].}أم تعتد بأربعة أشهر وعشرا وهي عدة المتوفي عنها زوجها كما في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٣٤﴾ سورة البقرة. الآية: ٢٣٤ فقد رأي ابن عباس ﷺ أن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا تعتد بأبعد الأجلين ورأي ابن مسعود ﷺ أنها إذا وضعت حملها قبل تمام الأربعة أشهر وعشر فعدتها بوضع الحمل وفي هذا يقول : أجل الحامل أن تضع ما في بطنها. (١)

ويؤيد قول ابن مسعود ما ورد في السنّة في حديث (سبيعة الأسلمية) المخرج في الصحيحين من غير وجه، أنها توفي عنها زوجها وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلّت من نفاسها تجملت للخطّاب، فدخل عليها (أبو السنابل بن بعكك): فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ مُتَجَمِّلَةً؟ لَعَلَّكِ تَرْجِينَ النِّكَاحَ. إِنَّكِ، وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حتى تَمُرّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ. قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمّا قَالَ لِي ذَلِك، جَمَعْتُ عَلَيّ ثِيَابِي

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ١١٦ ، ١١٧

حِينَ أَمْسَيْتُ. فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَأَفْتَانِي بِأَنّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي. وَأَمَرَنِي بِالتّزَوّجِ إِنْ بَدَا لِي.. (١).

وروي الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن سُلَيْمَان بْنِ يَسَارٍ أَنّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرّحْمَنِ وَ ابْنَ عَبّاسٍ اجْتَمَعَا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، وَهُمَا يَذْكُرَانِ الْمَرْأَةَ تُنْفَسُ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ ، فَقَالَ ابْنُ عَبّاسٍ: عِدّتُهَا آخِرُ الأَجَلَيْنِ ، وَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: قَدْ حَلّتْ ، فَجَعَلاَ يَتَنَازَعَانِ ذَلِك ، قَالَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَا مَعَ ابْنِ أَخِي (يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ) فَبَعَثُوا كُرَيْباً (مَوْلَى ابْنِ عَبّاسٍ) إِلَى أُمّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَجَاءَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ أَنّ أُمّ سَلَمَةَ قَالَتْ: إِنّ سُبَيْعَةَ الأَسْلَمِيّةَ نُفِسَتْ بَعْدَ وَفَاةِ زَوْجِهَا بِلَيَالٍ ، وَإِنّهَا ذَكَرَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَمَرَهَا أَنْ تَتَزَوّجَ " . (٢).

من هنا تأتي أهمية دراسة كتب السنة ، والاجتهاد في جمع الروايات في الموضوع الواحد ، لتكون النظرةُ شاملةً والتصورُ مكتملا .

١. الاختلاف في الإطلاق والتقييد

ومن أسباب الاختلاف أيضا الاختلاف في الإطلاق والتقييد ؛ والإطلاق تناول واحد غير معين ، والتقييد تناول واحد معين أو موصوف بوصف زائد . فقد يري بعض المفسرين بقاء المطلق علي إطلاقه ، وقد يقول بعضهم بتقييد هذا المطلق بقيد ما :

- من ذلك : عتق الرقبة في كفارة اليمين وكفارة الظهار فقد وردت مطلقة: كما في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾ المائدة: ٨٩سورة المائدة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب "المغازي – باب فضل من شهد بدراً" وعند مسلم "باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها بوضع الحمل" حديث ١٤٨٤

(٢) صحيح مسلم باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها بوضع الحمل" ح١٤٨٥

وقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾المجادلة: ٣سورة المجادلة

ووردت مقيدة كما في قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾النساء: ٩٢

فحمل بعض المفسرين المطلق علي المقيد وقالوا لا تجزئ الرقبة الكافرة ، وأبقى بعضهم المطلق على إطلاقه .

والأولى بقاء المطلق علي إطلاقه ما لم برد ما يقيده ، وإذا دار اللفظ بين الإطلاق والتقييد فإنه يحمل علي الإطلاق ؛ لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه .

١. الاختلاف في العموم والخصوص

- مثال ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾البقرة: ٢٢١سورة البقرة .

فمن المعلوم أن النصرانيات واليهوديات مشركات لكنهن لا يدخلن في عموم هذه الآية بدليل قوله تعالى في سورة المائدة ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ﴾ المائدة: ٥

فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن} قال: نسخ من ذلك نكاح نساء أهل الكتاب أحلهن للمسلمين وحرم المسلمات على رجالهم .

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية {ولا تنكحوا المشركات} فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة الآية ٥) فنكح الناسُ نساءَ أهل الكتاب.

وعن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ قال: يعني أهل الأوثان.

وأخرج عبد بن حميد عن حماد قال: سألت إبراهيم عن تزويج اليهودية والنصرانية، فقال: لا بأس به. فقلت: أليس الله يقول ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾؟ قال: إنما ذاك المجوسيات وأهل الأوثان. (١)

أقول والأصل بقاء العام علي عمومه ما لم يرد له مخصصا .

١. الاختلاف في فهم حروف المعاني

فقد يدل الحرف على أكثر من معنى :

- من ذلك الباء في قوله عز وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ سورة المائدة ٦

هل هي للملاصقة أم للتبعيض ؟ فقيل إنها للملاصقة وقيل للتبعيض والخلاف في ذلك موجود في كتب التفسير والفقه .

- ومثال ذلك أيضا اختلافهم في (مِنْ) الواردة في قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء : ١] قيل إنها تفيد التبعيض؛ لأن حواء خلقت من بعض آدم عليه السلام وقيل إنها بيانية لأن حواء خلقت من جنس آدم، وخلقها الله من جنسه لتتحقق الألفة والوئام والمودة، والانسجام؛ لأن الجنس إلي الجنس أميل.

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١ / ٢٥٦

- ومن ذلك أيضا اختلافهم في تفسير قوله تَعَالَىٰ:﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ ﴾ الأنفال : ٥

حيث وقع الاختلاف حول الكاف في قوله تعالى(كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ) وفي ذلك يقول الألوسي : "والكاف يستدعي مشبها وهو غير مصرح به في هذه الآية وفيه خفاء ، ومن هنا اختلفوا في بيانه وكذا في إعرابه علي وجوه ، فاختار بعضهم أنه خبر مبتدأ محذوف هو المشبه ، أي حالهم هذه في كراهة ماوقع في أمر الأنفال كحال إخراجك من بيتك في كراهتهم له ، وإلى هذا يشير كلام الفراء حيث قال : الكاف شبهت هذه القصة التي هي إخراجه ﷺ من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال وكراهتهم لما وقع فيها مع أنه أولى بحالهم ،أو أنه صفة مصدر الفعل المقدر في (قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ) أي الأنفال ثبتت لله تعالى وللرسول عليه الصلاة والسلام مع كراهتهم، ثباتا كثبات إخراجك وضعف هذا ابن الشجري ٠٠٠وقال أبو حيان خطر لي في المنام أن هنا محذوفا وهو نصرك ، والكاف فيها معنى التعليل أي لأجل أن خرجت لإعزاز دين الله تعالى نصرك وأمدك بالملائكة ودل على هذا المحذوف قوله سبحانه وتعالى (إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ) ٠٠٠٠٠٠٠٠ ولو قيل إن هذا مرتبط بقوله تعالى (وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ) على معنى رزق حسن كحسن إخراجك من بيتك : لم يبعد " [1] .

من هنا تأتي أهمية دراسة علوم البلاغة واستيعابها ؛ حتى يتمكن الباحث من التعامل مع اختلاف المفسرين .

---

(١) يراجع البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤ / ٤٥٩ و روح المعاني للألوسي ٩ / ١٦٩ .

١. الاختلاف في أوجه الإعراب

وهذا أيضا من أسباب اختلافهم

- من ذلك : في تفسيرهم لقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ المائدة: ٦٩ المائدة : ٦٩

حيث جاءت كلمة **(وَٱلصَّٰبِـُٔونَ)** في الآية مرفوعة وما قبلها منصوب ،والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون كذلك قال ابن كثير :" لما طال الفصل حسن العطف بالرفع " وقال النسفي : وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم .[١]

وقيل (والصابئون) معطوف على محل إن واسمها ،ومحلها الرفع والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ، والصابئون كذلك وعلى هذا قول الشاعر : وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاةٌ ما بقينَا في اختلافِ[٢].

وهنا ندرك أهمية دراسة واستيعاب وجوه الإعراب ، وان اختلاف تلك الوجوه فيه ثراءٌ للمعنى .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٨٠ ومدارك التنزيل للنسفي ١ / ٢٩٣ :٢٩٤

(٢) البيت لبشير بن حازم الأسدي وبغاة خبر إن وخبر أنتم محذوف تقديره كذلك ،يراجع مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المذكور ص ٦٦١ هامش الكشاف للزمخشرى

١. اختلافهم في أسباب النزول

• مثال ذلك : اختلافهم في سبب نزول قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ التحريم: ١ - ٥ حيث نزلت هذه الآيات الكريمة تعقيبا علي ما حدث في بيت النبوة ، حين حرم رسول الله ﷺ علي نفسه شيئا أحله الله له وأسر بذلك إلي إحدي زوجاته وهي حفصة فنبأت به عائشة فنزل القرآن الكريم بآيات بينات فيها عتاب لرسول الله ﷺ وتوجيه لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن ٠

وفيما يلي نذكر ما ورد في سبب نزولها ٠

١- ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فَلْتَقُلْ إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ [(١)] ، فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ فقال (بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ) فَنَزَلَ فنزلت (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلي (إن تتوبا إلي الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (وإذ أسر النبي إلي بعض أزواجه حديثا) لقوله ﷺ : بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا) [(٢)] .

---

(١) مغافير : صمغ يسيل من شجر العرفط طعمه حلو غير أن رائحته ليست بطيبة يراجع لسان العرب ٥ / ٣٢٧٦ - مادة (غ ف ر)

(٢) رواه الإمام البخارى فى صحيحه واللفظ له ، كتاب الطلاق باب (لم تحرم ما أحل الله لك) حديث ٥٢٦٧ ، فتح البارى ٩ / ٢٨٧ ٠ وفى رواية أخرى له (٠٠٠٠ ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب

٢- وأخرج النسائي في السنن والحاكم في المستدرك بسنديهما عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كانت له أمةٌ يطؤُها ، فلم تزلْ به عائشةُ وحفصةُ حتى جَعَلَهَا علي نفسِهِ حرامًا فأنزل الله تعالى (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم ٠٠٠) الآيات [١].

٣- وروي البزار في مسنده والطبراني : في تفسير قوله تعالى (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في سريَّتِهِ " [٢].

٤- وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره رواية أوردها الهيثم بن كليب في مسنده بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لحفصة لا تخبري أحدا أن أم إبراهيم عليَّ حرامٌ فلم يقربْهَا حتى أخبرتْ عائشةَ فأنزلَ اللهُ تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم)

وقال ابن كثير بعد إيراد هذه الرواية التي عزاها إلى الهيثم بن كليب في مسنده [وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج [١] .

ابنة جحش ، وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا) صحيح البخارى –ك /التفسير بـاب/ سـورة التحـريم حديث ٤٩١٢ الفتح ٨ / ٥٢٤ والحديث رواه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الطـلاق بـاب وجـوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق ١٠ / ٧٣ ٠ ورواه النسائى فى السنن كتاب الطلاق بـاب تأويل قوله تعالى (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك)٦ /١٥١ ٠

(١) رواه النسائى فى السنن كتاب الطلاق باب (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ٠٠٠٠ ٦ / ١٥١

وأخرجه أيضا فى السنن الكبرى فى عشرة النساء باب الغيرة ورجاله ثقات حديث ٣٩٥٩ وأخرجه أيضا فى تفسيره حديث ٦٢٧ – ٤٤٩/٢ وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح بعد عزوه إلى النسائى وسنده صحيح وله شاهد مرسل أخرجه الطبرى بسند صحيح عن زيد بن أسلم التابعى الشـهير قـال أصـاب رسول الله ﷺ أم إبراهيم ولده فى بيت بعض نسائه فقالت يارسول الله فى بيتى وعلى فراشى فنزلـت (يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) يراجع جامع البيان للطبـرى ٢٨ /١٠٠ والفـتح / ٩ / ٢٨٨ ، ورواه الحاكم فى المستدرك كتاب التفسير باب تفسير سورة التحريم وقال هذا حديث صحيح على شـرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى ٢ / ٤٩٣ ٠

(٢) رواه البزار بإسنادين والطبرانى ورجال البزار رجال الصحيح مجمع الزوائد كتب التفسـير بـاب سورة التحريم ٧ / ١٢٦

وهذه الرواية ذكرها السيوطي في أسباب النزول وعزاها إلي الضياء في المختارة [٢] .

٥- قال ابن حجر ووقع عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح إلي مسروق قال : حلف رسول الله ﷺ لحفصة لا يقرب أمته وقال هي علي حرام ، فنزلت الكفارة ليمينه وأمر أن لا يحرم ما أحل الله ...

٦ - وأخرج الضياء في المختارة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ لحفصة لا تخبري أحدا أن أم إبراهيم حرام علي قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل الله (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم)

٧- وأخرج الطبراني في عشرة النساء وابن مردويه من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال دخل رسول الله ﷺ بمارية في بيت حفصة ، فجاءت فوجدتها معه فقالت يا رسول الله في بيتي تفعل هذا معي دون نسائك ؟ " فذكر نحوه .

٨- وللطبراني من طريق الضحاك عن ابن عباس قال دخلت حفصة بيتها فوجدته ﷺ مع مارية فعاتبته ، فذكر نحوه . وهذه طرق يقوي بعضها بعضا [٣] .

مما سبق يتضح لنا :

أن هناك روايات متعددة في أسباب نزول صدر سورة التحريم ورد في بعضها أن الآيات نزلت في قصة تحريم الرسول ﷺ شرب العسل علي نفسه وبعضها في قصة تحريمه أم إبراهيم " مارية القبطية " رضي الله عنها علي نفسه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤ / ٣٨٦ . ويراجع المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لضياء الدين أبي عبد الله نحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن الحنبلي المقدسي حديث ١٨٩-٢٩٩/١ ، ٣٠٠ وإسناده صحيح

(٢) أسباب النزول للسيوطى بهامش الجلالين ص ٧٨٤ .

(٣) يراجع الفتح ٨ / ٥٢٥ .

يقول الإمام الشوكاني بعد أن أورد قصة تحريم العسل وقصة تحريم مارية القبطية : " فهذان السببان صحيحان لنزول الآية ، والجمع ممكن بوقوع القضيتين قصة العسل وقصة مارية وأن القرآن نزل فيهما جميعا وفي كل واحد منهما أنه أسر إلي بعض أزواجه ٠٠٠ " [١].

ويقول الإمام ابن حجر في الفتح بعد أن أورد الروايات التي وردت في تحريم مارية : " وهذه طرق يقوي بعضها بعضا فيحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معا " [٢].

" وقصارى ما يمكن قوله : يحتمل أن يكون النبي ﷺ قد شرب عسلا عند زينب ، وجاء إلي حفصة فقالت له ما قالت فحرم العسل واتفق له ﷺ قبيل ذلك أو بعيده أن وطئ جاريته مارية في بيتها في يومها على فراشها فحرم مارية وقال لحفصة ما قال تطييبا لخاطرها واستكتمها ذلك فكان منها ما كان ، ونزلت الآية بعد القضيتين فاقتصر بعض الرواة علي إحداهما ، والبعض الآخر علي نقل الأخري وقال كل : فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي٠٠٠٠) إلى آخر الآيات٠

وهو كلام صادق إذ ليس فيه دعوي كلّ حصر علة النزول فيما نقله فإن صح هذا هان أمر الاختلاف وإلا فاطلب لك غيره " [٣] والله تعالى أعلم ٠

*وقال الإمام الطبري في جامع البيان بعد أن ذكر الروايات الواردة في تحريم العسل ، وفي تحريم مارية [والصواب أن يقال كان الذي حرمه النبي ﷺ علي نفسه شيئا كان الله قد أحله له ، وجائز أن يكون ذلك جاريته ، وجائز أن يكون ذلك شرابا من الأشربة ، وجائز أن يكون غير ذلك ، غير أنه أي ذلك كان فإنه كان تحريم شئ كان له حلال وعاتبه الله علي تحريمه علي نفسه ما كان له قد أحله ، وبين له تحلة يمينه] [٤].

*وقال الشيخ الصابوني في كتابه قبس من نور القرآن الكريم بعد أن ذكر الروايات الواردة في تحريم مارية ، والواردة في تحريم شرب العسل " ٠٠٠ وهذه خلاصة للرواية الثانية – ويقصد رواية تحريم شرب العسل – وهي مروية في الصحيحين بأوسع من هذا

---

(١) فتح القدير للشوكانى ٥ / ٢٥٢

(٢) يراجع الفتح ٨ / ٥٢٥ ٠

(٣) روح المعانى ٢٨ / ١٥١ ٠

(٤) جامع البيان ٢٨ /١٠٢

وهي أصح إسنادا من الرواية الأولي ٠ – يقصد رواية تحريم مارية – ولكن كونها سببا للنزول مستبعد والذي يرجح الرواية الأولي وأنها سبب للنزول ٠ أمور نجملها فيما يلي : الأول ، أن مثل تحريم بعض النساء مما يبتغي به مرضاة بعض الأزواج ، لا شرب العسل أو عدمه ، الثاني : أن الاهتمام بنزول سورة فيها الوعيد والتهديد لأزواج رسول الله ﷺ بالطلاق واستبدالهن بنساء خير منهن ، وأن الله وملائكته والمؤمنين سند وعون لرسول الله يدل علي وجود تنافس بينهن وغيرة ، وذلك إنما يكون في تحريم بعض النساء عليه لا في شرب العسل ونحوه ٠

الثالث أن هذه الحادثة من إفشاء السر ، كادت تؤدي إلي طلاق زوجات الرسول ﷺ حتى اعتزلهن شهرا ، نظرا لدقة الموضوع وشدة حساسيته مما أغضب الرسول ﷺ حتى حلف عليهن ، وذلك إنما يكون في أمر مهم ، مثل تحريمه لبعض النساء ، وحلفه ألا يقرب " مارية القبطية " إرضاء لأزواجه واستكتم البعض منهن في هذا الأمر ، فأفشت السر فهذا ما يرجح الرواية الأولي " [١] .

أقول : والراجح في سبب نزول هذه الآيات هو ما ورد عن تحريم مارية رضي الله عنها وذلك لموافقة هذه القصة لسياق الآيات الكريمة ، وأما قضية تحريم العسل ، وقول بعض السلف نزلت فيه فالمراد منه أن الآيات تشمل قضية بعمومها علي ما عرف من عادة السلف في قولهم نزلت في كذا [٢] ٠ والله أعلم

قواعد مهمة في أسباب النزول

---

(١) قبس من نور القرآن للصابونى ١٤ / ١٥٨ ط دار القلم دمشق ٠

(٢) يقول الإمام الزركشى فى البرهان ، وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية فى كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم لا أن هذا كان السبب فى نزولها ٠ البرهان فى علوم القرآن ١ / ٣٢ ٠

من المعلوم أن أسباب النزول تنقسم باعتبار الثبوت إلى قسمين صحيح ، وضعيف ، وعلى هذا فلا بد من مراعاة الصحة عند الترجيح بين الروايات الواردة في أسباب النزول ،فيقدم الصحيح علي الضعيف ، فإذا صحت الروايات جميعا فيراعى درجات الصحة ، علي سبيل المثال نقدم ما رواه الشيخان علي ما رواه أحدهما وما رواه أحدهما علي ما رواه غيرهما ، وهكذا تراعى درجات الصحة .

- كما تنقسم من حيث دلالتها إلي قسمين :

الصريح : وهو ما صرح فيه الراوي بسبب النزول مثل قوله : سبب نزول هذه الآية كذا أو حدث كذا أو سئل النبي ﷺ عن كذا فأنزل الله تعالى قوله كذا ، أو فأوحي الله إلى نبيه كذا .

وغير الصريح : مثل أن يقول نزلت هذه الآية في كذا ونحو ذلك ، فهذا يحتمل كونه سبب نزول أو تفسيرا للآية وبيانا لما ينطبق عليه الحكم . والصريح إذا صح إسناده مقدم على غير الصريح حتى ولو كان أصح منه .

- ولا يطلب لكل آية سبب نزول فليست جميع الآية منزلة علي سبب.
- وقد يتعدد السبب والنازل واحد ، أو العكس : يتعدد النازل علي سبب واحد .
- والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
- يراعي الاتساق بين السبب وبين سياق الآيات .
- هذه بعض القواعد المهمة المتعلقة بأسباب النزول ، والتي من خلالها نتعامل مع اختلاف المفسرين فنجمع بينها إن أمكن أو نرجح بينها إذا لم يمكن الجمع .

١. مراعاة السياق

وفي ذلك يقول الإمام العز بن عبد السلام :"إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى " . [١] .

وقال الزركشي في البحر المحيط : "... والسياق يرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك يعرف بالاستعمال " . [٢] .

وذكر ابن جزي في مقدمة تفسيره أن من قواعد الترجيح أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده ". [٣] .

وقال الزركشي في البرهان :" ... من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة علي مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته " [٤] .

وقال الزركشي : " والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له " [٥].

وقال الإمام السيوطي في الإتقان : "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الأيات في جميع القرآن هو أنك تنظر للغرض الذي سيقت له السورة ،وتنظر ما يحتاجه ذلك الغرض من مقدمات ،وتنظر في مراتب تلك المقدمات قربا وبعدا من المطلوب ، وتنظر عند انجرار

---

(١) الإشارة إلى الإيجاز ، للعز بن عبد السلام ص ٢٢٠

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٥٢/٦

(٣) التسهيل في علم التنزيل لابن جزي ١ / ٩

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢ / ٢٠٠

(٥) نفس المرجع ١ / ٣٨

الكلام في المقدمات إلي ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلي الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلي الوقوف عليها ، وبهذا يتبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة " [1].

من هنا " فلا بد من النظرة الكلية الشاملة والتأمل في مقاصد السورة وتعيين المحور العام الذي تدور حوله ، وتقسيم الآيات إلي مقاطع كل مقطع يمثل وحدة موضوعية واحدة مترابطة ومستمسكة ومتناسقة مع سابقها ولاحقها " [2].

- **نموذج من التفسير** : من ذلك ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ البقرة: ١٩٥
- فإن هذه الجملة الكريمة لا يمكن فهمها مجردة من سياقها ، وفي ذلك يقول الشيخ سعيد حوي رحمه الله :"وأما النهي عن إهلاك النفس فإذا نظرنا إلي النص مجردا كان له معنى وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها أعطانا معنى آخر وإذا نظرنا إليه أنه جزء من السياق أعطانا معنى جديدا وكل هذه المعاني مرادة وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية فإذا نظرنا إلي النص مجردا فهمنا منه أنه نهيٌ عن قتل أنفسنا ، أي لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلانٌ نفسه بيده إذا تسبب في هلاكها ،وهل يدخل في ذلك ما لو أمر إنسان بمعروف أو نهي عن منكر فقتل ؟ الجواب لا ؛ بل هو مأجور ، ويدخل في ذلك ما إذا هاجم الكفارَ وألقى بنفسه عليهم فقتل ؟ قالت الحنفية إذا كان بفعله هذا ينكي فيهم ويلقي الرعب في قلوبهم . "

وإذا نظرنا إلي هذا الأمر وروده بعد الأمر بالإنفاق فهمنا منه أنه نهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله ، لأنه سبب للإهلاك ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن حذيفة في الآية قال " نزلت في الإنفاق "[3].

---

(١) الإتقان : ١٢٨/٢

(٢) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات للمؤلف ص ١٧ على موقع ملتقى أهل التفسير .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ك التفسير باب تفسير سورة البقرة –فتح الباري ٣٣/٨

وأورد الشيخ سعيد أقوالا أخرى عن ابن عباس وعن الضحاك وعن سعيد بن جبير وعن الحسن البصري تؤيد ذلك ، ثم أتبعها بقوله :" وإذا نظرنا إلي هذا النهي من خلال وروده بعد آيات القتال فهمنا منه أنه نهي عن ترك الجهاد وأورد الشيخ سعيد قصة أبي أيوب الأنصاري ، وعقب ذلك بقوله :" وقد لاحظنا أن هذه الاتجاهات الثلاثة الرئيسية في فهم هذا النص ، سببها ملاحظة النص مجردا ، أو السياق القريب ،أو السياق العام وهذا من أبرز الأمثلة الدالة علي أن القرآن لا تتناهي معانيه[1] .

قال الإمام الطبري رحمه الله : " اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية، ومن عني بقوله: {ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة} فقال بعضهم: عني بذلك: {وأنفقوا في سبيل الله} وسبيل الله: طريقه الذي أمر أن يسلك فيه إلى عدوه من المشركين لجهادهم وحربهم ، {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} يقول: ولا تتركوا النفقة في سبيل الله، فإن الله يعوضكم منها أجرا ويرزقكم عاجلا. ثم ذكر من قال ذلك:فأورد بسنده عن حذيفة: {ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة} قال: يعني في ترك النفقة .

وروى بسنده أقوالا لابن عباس منها : {ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة} قال: ليس التهلكة أن يقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله.

وقال آخرون: بل معناه أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم فيما أصبتم من الآثام إلي التهلكة، فتيأسوا من رحمة الله، ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات، ثم ذكر من قال ذلك فأورد أقوالا عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني .

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنفقوا في سبيل الله ولا تتركوا الجهاد في سبيله ، ثم ذكر من قال ذلك ، فأورد روايات منها : بسنده عن أسلم أبي عمران، قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلي أهل مصر عقبة بن عامر، وعلي الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. قال: فصففنا صفين لم أر صفين قط أعرض ولا أطول منهما، والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة، قال: فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه ! لا إله إلا الله،

---

(١) الأساس في التفسير للأستاذ سعيد حوى رحمه الله ١ / ٤٤٧

يلقي بيده إلي التهلكة ! قال أبو أيوب الأنصاري: إنما تتأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة أو يبلي من نفسه ! إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار. إنا لما نصر الله نبيه، وأظهر الإسلام، قلنا فيما بيننا : إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه، هلم نقيم في أموالنا ونصلحها ! فأنزل الله الخبر من السماء: {وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة} الآية، فالإلقاء بالأيدي إلي التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها، وندع الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية. (١)

ثم عقب ذلك بقوله : " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر بالإنفاق في سبيله بقوله: {وأنفقوا في سبيل الله} وسبيله: طريقه الذي شرعه لعباده وأوضحه لهم.

ومعنى ذلك: وأنفقوا في إعزاز ديني الذي شرعته لكم بجهاد عدوكم الناصبين لكم الحرب ونهاهم أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، فقال: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} ... فمعنى قوله: {ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة} ولا تستسلموا للهلكة فتعطوها أزمتكم فتهلكوا والتارك النفقة في سبيل الله عند وجوب ذلك عليه مستسلم للهلكة بتركه أداء فرض الله عليه في ماله. وذلك أن الله جل ثناؤه جعل أحد سهام الصدقات المفروضات الثمانية في سبيله، فقال ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ [التوبة: ٦٠] فمن ترك إنفاق ما لزمه من ذلك في سبيل الله على ما لزمه كان للهلكة مستسلما وبيديه للتهلكة ملقيا. وكذلك الآيس من رحمة الله لذنب سلف منه، ملق بيديه إلي التهلكة ، كما أخبر القرآن عن يعقوب عليه السلام حينما قال لبنيه ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾يوسف: ٨٧ [يوسف: ٨٧] وكذلك التارك غزو المشركين وجهادهم في حال وجوب ذلك عليه في حال حاجة المسلمين إليه، مضيع فرضا، ملق بيده إلى التهلكة.

---

(١) رأيت قبره رحمه الله في القسطنطينية (اسطنبول) .

فإذا كانت هذه المعاني كلها يحتملها قوله: {ولا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة} ولم يكن الله عز وجل خص منها شيئا دون شيء، فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهي عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة، وهي العذاب، بترك ما لزمنا من فرائضه، فغير جائز لأحد منا الدخول في شيء يكره الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الأغلب من تأويل الآية: وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله، ولا تتركوا النفقة فيها فتهلكوا باستحقاقكم بترككم ذلك عذابي... " [1].

١. اختلافهم بسبب حمل الكلام علي التقديم والتأخير

المراد بالتقديم والتأخير : "جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة " . [2] ، وللتقديم والتأخير في القرآن الكريم أسباب عديدة منها إفادة القصر والاختصاص ، ومنها الاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر ، ومنها مراعاة الترتيب حسب الأسبقية أو حسب الأفضلية ، ومنها عودة الضمير علي مذكور سابق ، وغير ذلك .

وأقول إن الأصل بقاء الكلام علي ترتيبه المتبادر من ظاهر النص ، فلا نقول بالتقديم والتأخير إلا بقرينة تقرر ذلك .

---

(١) جامع البيان للطبري ٢/ ٥٠

(٢) الإكسير في علم التفسير ، لسليمان الصرصري ص ١٥٤

- مثال لهذا النوع من الاختلاف : قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ البقرة: ٧٢ هل هو سابق لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾البقرة: ٦٧

- قيل : هو مقدم في التلاوة ، مؤخر في المعنى على قوله تعالى﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ لأن أمر موسي لقومه بأن يذبحوا بقرة كان في الترتيب الزمني بعد قصة القتل المذكورة في الآية الثانية.

قال الشوكاني رحمه الله : ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها ، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ، ثم وقع ما وقع من أمر القتل فأمروه أن يضربوه ببعضها ، ثم علق بقوله: هذا على فرض أن الواو تقتضي الترتيب ، وقد تقرر في علم العربية أنها لمجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية. (١) .

وقال القرطبي رحمه الله :" قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾البقرة: ٦٧ مقدم في التلاوة وقوله "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا" مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة. ويجوز أن يكون قوله: "قتلتم" في النزول مقدما، والأمر بالذبح مؤخرا. ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع في أمر القتل، فأمروا أن يضربوه ببعضها، ويكون "وإذ قتلتم" مقدما في المعنى علي القول الأول حسب ما ذكرنا، لأن الواو لا توجب الترتيب. ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضائه في قوله ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود: ٤٠]. فذكر إهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه بقوله ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

(١) فتح القدير – ١٢٦/١.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾[هود: ٤١]. فذكر الركوب متأخرا في الخطاب، ومعلوم أن ركوبهم كان قبل الهلاك." [١] .

أقول : والأولى حمل الكلام على ترتيبه والله أعلم بمراده ، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ أي ليأخذ كلُّ واحدٍ مكانه في السفينة ، كما يقول الربان للركاب اركب يا فلان في المقصورة واركب يا فلان في سطح السفينة واركب يا فلان في جناح كذا ، أو ذكر الركوب بعد قوله ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ ليتعلق بالدعاء ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١ /٣٠٩

١. تنوع ثقافة كل مفسر

كذلك من أسباب اختلاف المفسرين : تنوع ثقافة كل مفسر وما لديه من علوم ومعطيات وما يستجد في عصره من قضايا ، ففي عصرنا هذا عصر التقدم العلمي والتطور التقني انكشفت الكثير من الحقائق العلمية الثابتة في عالم الأنفس والآفاق وظهرت الكثير من المخترعات التي لم تخطر على بال السابقين أصلا كما فرض علي العالم الإسلامي الكثير من التحديات التي لم تكن في الحسبان .

منها الاستعمار الصهيوني لفلسطين ، ومن كان يظن أن اليهود ستكون لهم قوة وسطوة ويصبح لهم كيان ! وتقام لهم دولة ! يهاجرون إليها من كل حدب وصوب !

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد إشارات صريحة إلي هذا الواقع المرير الذي نعيشه فضلا عن اشتماله على جوانب متعددة من الإعجاز العلمي الذي يسبق به كل عصر ، ولا عجب فهو المعجزة الخالدة والعطاء المتجدد والنهر المتدفق الذي لا ينقطع إمداده ولا تنقضي عجائبه وصدق المولى عز وجل إذ يقول ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: ١٠٩] .

ولنتأمل علي سبيل المثال ما ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء والتي تسمي أيضا سورة بني إسرائيل قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ الإسراء: ١٠٤

قال رحمه الله " **وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ**" أي من بعد إغراق فرعون "اسكنوا الأرض" أي أرض الشام ومصر. "فإذا جاء وعد الآخرة" أي القيامة. "جئنا بكم لفيفا" أي من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيّه. وقال ابن عباس وقتادة: جئنا بكم جميعا من جهات شتى. والمعنى واحد. قال الجوهري: واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ؛ يقال: جاء القوم بلفهم ولفيفهم، أي وأخلاطهم. وقوله تعالى "جئنا بكم لفيفا" أي مجتمعين مختلطين. وطعام لفيف إذا كان مخلوطا من جنسين فصاعدا. وفلان لفيف فلان أي صديقه. قال الأصمعي: اللفيف جمع وليس له واحد، وهو مثل الجميع. والمعنى: أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور

كالجراد المنتشر، مختلطين لا يتعارفون. وقال الكلبي: "فإذا جاء وعد الآخرة" يعني مجيء عيسى عليه السلام من السماء " [1] .

وها نحن نري الآن الهجرة الجماعية لليهود إلي إسرائيل وعملية اغتصاب أراضي إخواننا الفلسطينيين وتحويلها إلي مستوطنات لليهود ! أليس لهذا الواقع اعتباره حين نمر علي هذه الآيات ونفسرها في ضوء واقعنا المعاصر ؟ أليس هذا من إعجاز القرآن الكريم حيث أخبرنا عن حاضرنا ومستقبلنا ؟ فهو رسالة صالحة لكل زمان ومكان .

ثم تعالوا بنا لنتأمل في جانب آخر من جوانب الإعجاز القرآني في إثباته لحقائق علمية لم تظهر إلى في زماننا هذا

ففي نهاية سنة ١٩٩٨م سمعت في إذاعة لندن [القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية] خبرا هاما وهو عن أهم اكتشاف في هذا العام حيث توصل علماء الفلك إلي أن الكون يزداد ويتسع فتوارد إلى ذهني قول الله تعالى في سورة الذاريات ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

ولكن هل فطن المفسرون المتقدمون إلي ذلك ؟

لنرجع سويا إلي ما كتبه الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية حيث قال : " قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ لما بين هذه الآيات قال: وفي السماء آيات وعبر تدل علي أن الصانع قادر علي الكمال، فعطف أمر السماء علي قصة قوم نوح لأنهما آيتان. ومعنى "بأيد" أي بقوة وقدرة. عن ابن عباس وغيره. "وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" قال ابن عباس: لقادرون. وقيل: أي وإنا لذو سعة، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده. وقيل: أي وإنا لموسعون الرزق علي خلقنا. عن ابن عباس أيضا. الحسن: وإنا لمطيقون. وعنه أيضا: وإنا لموسعون الرزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنيناكم ؛ دليله: "على الموسع قدره" [البقرة:

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٢١٩ ويراجع جامع البيان للطبري ١٥ /١٧٦،١٧٧

٢٣٦]. وقال القتبي: ذو سعه على خلقنا. والمعنى متقارب. وقيل: جعلنا بينهما وبين الأرض سعة. الجوهري: وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغني، ومنه قوله تعالى: " وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" أي أغنياء قادرون ، فشمل جميع الأقوال. " [١].

- ولما تحدث القرآن الكريم عن وسائل المواصلات التي هيأها المولى عز وجل لنا لم تتوقف الآيات عند حد الوسائل القديمة التقليدية ولكنها حلقت بنا في أجواء أخرى أمام وسائل أخرى أسفر عنها زماننا ولا يزال الباب مفتوحا والتحدي قائما والقرآن سابقا لكل عصر قال تعالى ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ النحل: ٨
- ومما يحسب للمتقدمين من المفسرين أنهم تجاوزوا حدود هذه الدنيا الفانية ليحدثونا عن نعيم الجنة وما فيها من مراكب عجيبة خلقها الله عز وجل ليستمتع بها أهل الجنة :
- قال الطبري رحمه الله " وقوله: {وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} يقول تعالى ذكره: ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر علي قلب بشر." . [٢]
.
- وقال القرطبي رحمه الله :" ... وقيل : ويخلق ما لا تعلمون" مما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها، مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولا خطر على قلب بشر " [٣] .
- من هنا فإنه يجب علي المفسر أن يكون ملمًّا بثقافة عصره مطّلعا علي الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثا معنيا بإبراز جوانب الإعجاز القرآني وبيان الهداية القرآنية في كل القضايا والأزمات التي تمر بها الأمة .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/ ٣٦

(٢) جامع البيان للطبري ١٤ / ٨٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٥٣ ، ٥٤

المبحث الثالث

قواعد مهمة في التعامل مع اختلاف المفسرين

- ينبغي على المفسر في تعامله مع هذا النوع من الاختلاف أن يعتمد علي قواعد الترجيح ، والتي منها : مراعاة النظرة الكلية الشاملة للآيات ، ومراعاة السياق ، وأن الأصل عودة الضمير علي أقرب مذكور سابق ، وأن الأصل هو الأخذ بظاهر النص فالأصل هو إجراء الكلام علي معناه الظاهر ، فلا نلجأ إلي القول بالمجاز إلا بقرينة تمنع من استعمال المعنى الحقيقي ،وأن الأصل بقاء العام علي عمومه ما لم يرد ما يخصصه ، وبقاء المطلق علي إطلاقه ما لم يرد ما يقيده ، وأن إعمال النص خير من إهماله وعليه فلا نلجأ للنسخ إلا عند التعارض الشديد ، وأن الأصل بقاء النظم القرآني على نسقه وترتيبه ، والاستفادة من تنوع القراءات المتواترة في إثراء المعنى فلا نرجح قراءة متواترة علي قراءة أخري متواترة ، ولا يجوز رد القراءة المتواترة ، ولا تضعيفها ، وينبغي أن يجتهد المفسر في التوفيق بين الأقوال حيث لا تعارض بينها ، وأن يراعي في تفسيره مقتضيات العصر ومستجداته ومعطياته العلمية .
- أما ما ورد من أقوال مختلفة في التفسير لا يمكن الجمع بينها بوجه من الوجوه : فسبيلنا فيها : أن ننظر في صحة تلك الآراء المتناقضة فنقدم الصحيح علي الضعيف ، ويقدم تفسير الصحابة علي تفسير التابعين ، فإن كان الخلاف في تفسير الصحابة ينظر في الأمر : فإن كان للصحابي الواحد قولان متناقضان ينظر في المتأخر منهما فيعتمد لأنه يدل علي تراجعه عن رأيه القديم ، فقد يرى رأيا ثم يثبت له بعد ذلك ضعفه ، وإن خالف الصحابي الواحد سائر الصحابة يقدم رأي جمهور الصحابة علي رأي الواحد منهم ، وإن خالف رأيُ صحابي رأيَ صحابي آخر يُعملُ بقواعد الترجيح مع مراعاة تقديم رأي أرسخهما قدما في

التفسير كابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا ما ذهب إليه الزركشي لأن الرسول ﷺ دعا لابن عباس فقال (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ) . [1] .

- أما إذا تعارض التفسير بالرأي مع التفسير النبوي ولم يمكن التوفيق بينهما : فيقدم التفسير النبوي لأنه لا اجتهاد مع نص ، وكذا إذا تعارض التفسير بالرأي مع ما ثبت من أقوال الصحابة " لأن ما يصح نسبته إلى الصحابة في التفسير النفس إليه أميل ؛ لاحتمال سماعه من الرسول ﷺ ، ولما امتازوا به من الفهم الصحيح والعمل الصالح ولما اختصوا به من معاينة أسباب التنزيل ، لكن إذا تعارض التفسير بالرأي مع تفسير التابعي ينظر في المسألة فإن كان التابعي مما لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب أو كان التفسير في ما فيه مجال للرأي فحينئذ نلجأ للترجيح بين التفسير بالرأي وقول التابعي إلا إذا كان إجماعا للتابعين فإنه يقدم علي التفسير بالرأي وذلك كله بشرط وجود التعارض الحقيقي أما إذا تيسر الجمع بين المعقول والمنقول فلا نلجأ إلي الترجيح .

- ومن الأمور التي ينبغي على المفسر تجنبها : ومن الأمور المهمة التي لا غنى للمفسر عنها تجنبا للوقوع في الخلاف المذموم
- **سلامة الاعتقاد** : بأن يلزم منهج أهل السنة والجماعة ويستمسك بالكتاب والسنة ، وأن يكون على بصيرة من أمره ، فقد ينقل بحسن نية من تفاسير الفرق الضالة فيقع فيما وقعوا فيه من أخطاء ، فإن أصحاب الفرق الضالة خاضوا غمار التفسير لمناصرة أهوائهم ، فتأولوا النصوص وأنكروا الأحاديث الصحيحة التي تخالف معتقداتهم .

التجرد من الهوى : فينبغي للمفسر أن ينشد الحق وأن يسعى إلى بيانه ، ودعوة الناس إليه ، ولا يركن إلى أهل البدع والأهواء ، وإنما ينصر الحق ويؤيده ، وأن

---

(١) الحديث : رواه الشيخان البخاري في صحيحه كتاب الوضوء- باب: وضع الماء عند الخلاء الحديث رقم: ١٤٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنه، رقم: ٢٤٧٧

يتجنب تفسيرات الفرق الضالة وأن يكون منها على حذر ، وأن يكشف عما فيها من زيف وضلال ،

- **معرفة الدخيل في التفسير لتجنبه** كالإسرائيليات والموضوعات وبدع المفسرين وأخطاء بعضهم وآراء أهل الفرق الضالة .
- **تفويض العلم إلى الله تعالى وأن لا يجتهد فيما فيه نص** ، وأن لا يرجح بدون دليل ، وأن لا يخوض فيما استأثر الله بعلمه ، ولا فيما لا مجال فيه للرأي .
- **تحري الصدق والدقة في النقل:** فلا بد من التثبت في الرواية والتحري في النقل والدقة في الكتابة حتى لا يقع في التصحيف أو اللحن ، أو ينقل الروايات الواهية بدون تعقيب عليها وأن يقدر الأمانة ويستشعر المسئولية .

وما مِنْ كاتبٍ إلا سيفْنَى ويُبْقِي الدهرُ ما كتبتْ يداهُ

فلا تكتبْ بخطِّكَ غيرَ شيء يسرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ .

وأسأل الله تعالى في ختام بحثي هذا أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ، وأن يرزقنا القبول والتوفيق في معاشنا ومعادنا ٠

كتبه : الفقير إلى عفو ربه / أحمد محمد الشرقاوي سالم

مراجع البحث

القرآن الكريم

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للعلامة الشيخ أحمد محمد البنا ت ١١١٧ هـ تحقيق د٠ شعبان محمد إسماعيل ط عالم الكتب بيروت سنة ١٤٠٧ هـ .

٢. الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى ت ١٤٠٩ هـ ط دار السلام ط أولي سنة ١٤٠٥ هـ .

٣. أسباب النزول للسيوطي (لباب النقول في أسباب النزول) بهامش تفسير الجلالين ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ٠

٤. أسباب النزول للواحدي النيسابوري (أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨ هـ ط دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٣٩٥ هـ ٠

٥. الإشارة إلي الإيجاز في بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ط دار الحديث بالقاهرة .

٦. الإكسير في علم التفسير لسليمان الصرصري ط مكتبة الآداب بالقاهرة .

٧. الانتصاف للإمام أحمد بن المنير الاسكندري ت ٦٨٣ هـ بهامش الكشاف للزمخشري ط دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧ هـ ط ثالثة ٠

٨. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ ط كلية الشريعة بالرياض بتحقيق د. أحمد حسن فرحات .

٩. البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ط الكويت .

١٠. البحر المحيط للإمام أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي ت ٧٥٤ هـ ط دار إحياء التراث العربي ط سنة ١٤١١ هـ ثانية ٠

١١. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ط الحلبي بالقاهرة .

١٢. التسهيل في علوم التنزيل لابن جزي الكلبي ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ

١٣. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ط دار التراث بالقاهرة .

١٤. تفسير النسائي للإمام أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ ط مكتبة السنة ١٤١٠هـ ط ١ .
١٥. جامع البيان في تفسير القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ ط دار الريان للتراث ، ودار الحديث بالقاهرة سنة ١٤٠٧ هـ وطبعة دار المعارف بتحقيق محمود محمد شاكر ، و أحمد محمد شاكر ط سنة ١٩٥٧ م ٠
١٦. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧ م ٠
١٧. حجة القراءات لابن زنجلة ط مؤسسة الرسالة ط ٢ سنة ١٣٩٩ هـ .
١٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ ط دار الفكر سنة ١٤٠٣ .
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الألوسي شهاب الدين السيد محمود الألوسي ت ١٢٧٠ هـ ط دار إحياء التراث العربي ط ٤ سنة ١٤٠٥هـ .
٢٠. زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٦ هـ) ط المكتب الإسلامي بيروت ط١ سنة ١٣٨٥ هـ سنة ١٩٦٥ م ٠
٢١. السنن الكبري للنسائي – تحقيق د٠ عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولي ١٤١١ هـ ٠
٢٢. سنن النسائي (أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣ هـ) بشرح السيوطي وحاشية السندي ط دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ ٠
٢٣. صحيح مسلم بشرح النووي (الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ت ٢٦١ هـ) دار إحياء التراث العربي ط ٣ بدون تاريخ ٠ ط سنة ١٤٠٨ هـ ط أولي ط عالم الكتب ٠
٢٤. الطبقات الكبرى لابن سعد : محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري تحقيق : إحسان عباس ط : دار صادر بيروت الطبعة : ١ – ١٩٦٨ م .

٢٥. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ .
٢٦. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ هـ ط البابي الحلبي سنة ١٣٥٠ هـ ط أولي ٠
٢٧. الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي ترجمة سليمان الندوي ط/ دار البشائر الإسلامية .
٢٨. القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين للدكتور محمود حامد عثمان ط دار الراقم ١٤٢٣هـ .
٢٩. قبس من نور القرآن الكريم للشيخ محمد علي الصابوني ط دار القلم بسوريا ط ١ سنة ١٤٠٩ هـ سنة ١٩٨٨ م ٠
٣٠. الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسي الحسيني الكفوي ت ١٠٩٤هـ ط مؤسسة الرسالة
٣١. لسان العرب لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن منظور (٧١١ هـ) ٠ ط دار المعارف بدون تاريخ ٠
٣٢. متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ت ٤١٥ هـ تحقيق د٠ عدنان زرزور ط دار التراث بدون تاريخ ٠
٣٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٢ هـ ٠
٣٤. المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن الحنبلي المقدسي ط مكتبة النهضة الحديثة بمكة ١٤١٠هـ .
٣٥. المستدرك علي الصحيحين للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ت ٤٠٥ هـ وفي ذيله تلخيص المستدرك للإمام شمس الدين الذهبي ت ٨٤٨ هـ ٠
٣٦. مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المذكور بهامش الكشاف للزمخشرى ط دار الريان للتراث .
٣٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للعلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ت ٧٧٠ هـ ، ط المطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ ٠

٣٨. معاني القرآن لأبي زكريا يحيي بن زياد الفـراء ت ٢٠٧ هـــ ط دار السـرور بيروت
٣٩. معاني القرآن وإعرابه للزجاج (أبي إسحاق إبراهيم بن السري ت ٣١١ هـ) ط عالم الكتب ط١ سنة ١٤٠٨ هـ
٤٠. المفردات في غريب القرآن للإمام أبي القاسم الحسـين بـن محمـد المعـروف بالراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ ط دار المعرفة بيروت بدون تاريخ ٠
٤١. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط دار الفكر ٠
٤٢. الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ت٢٢٤هـ مكتبـة الرشـد ١٤١١هـ ٠
٤٣. النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ت ٨٣٣ هـ ط دار الفكر بدون تاريخ ٠
٤٤. النكت والعيون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بـن محمـد بـن حبيـب الماوردي البصري ت ٤٥٠ هـ ط دار الصفوة بمصر سنة ١٤١٣ هـ ط أولي ٠

محتوى البحث

المقدمة

المبحث الأول : مفهوم الاختلاف

المبحث الثاني : أنواع الاختلاف

المطلب الأول : الاختلاف المذموم أسبابه وضوابطه

المطلب الثاني : الاختلاف المحمود أسبابه وضوابطه

أسبابه وضوابطه

١- اختلاف التعبير

٢- أن يفسر بعضهم المعنى ببيان بعض ما يندرج تحته من أنواع ،

٣- أو يفسره بذكر مثال له

٤- الاختلاف في عودة الضمير

٥- أن يكون اللفظ مشتركا في اللغة

٦- اختلاف القراءات

٧- الاختلاف في القول بالنسخ

٨- الاختلاف في حمل اللفظ علي الحقيقة أو المجاز

٩- تفاوتهم في معرفة السنة النبوية

١٠- الاختلاف في الإطلاق والتقييد

١١- الاختلاف في العموم والخصوص

١٢- الاختلاف في فهم حروف المعاني

١٣- الاختلاف في أوجه الإعراب

١٤- اختلافهم في أسباب النزول

١٥- مراعاة السياق

١٦- اختلافهم بسبب حمل الكلام علي التقديم والتأخير

١٧ – تنوع ثقافة كل مفسر

المبحث الثالث

قواعد مهمة في التعامل مع اختلاف المفسرين

مراجع البحث